

رواية "الخروج من التابوت" لمصطفى محمود" دراسة وجودية

١. *الدكتور نعيم عموري، أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها

بجامعة شهيد خمران أهواز-إيران (الكاتب المسؤول)

naim_amouri@yahoo.com

٢. مائده ظهري عرب، طالبة في مرحلة الماجستير فرع اللغة العربية

وآدابها بجامعة شهيد خمران أهواز-إيران

maedeh.zohriarab@gmail.com

**The novel "Out of the Sarcophagus" by
Mustafa Mahmoud is an existential study**

**١. Dr. Naem Amouri, Associate Professor, Department of Arabic
Language and Literature, Shahid Khumran University Ahwaz,**

Iran (author responsible)

naim_amouri@yahoo.com

**(٢ A student in the master's degree in Arabic Language and
Literature at Shahid Khumran University in Ahwaz, Iran**

maedeh.zohriarab@gmail.com

Abstract:

The existentialism is closely associated to human and the human occupies a large place in existentialism philosophy so that it expresses his concerns and problem, in spite of existentialism is a recent orientation, but its roots were planted in the depths of history. The existentialism exceeded the field of philosophy and emerged into the area of literature and was appeared in many stories, novels and theaters, which it is a phenomenon that it is worthy to study and gives more attention, so we decided to study this phenomenon in one of the novels to find the existential character that is appeared in the Arab novel. This article targets according the descriptive-analytical curriculum to the study of existentialism and its patterns in the novel "al khourouj min al ta bot" by "Mustafa Mahmoud.

Key words: existentialism, novel, al khourouj min al tabot, Mustafa Mahmoud.

المخلص:

إن الوجودية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالإنسان والإنسان يحتل مكانة واسعة في الفلسفة الوجودية بحيث إنها تعبر عن همومه وقضاياها ؛ علي الرغم من أن الوجودية تعد اتجاهها حديثاً لكن جذورها ترامت في أعماق التاريخ. تجاوزت الوجودية مجال الفلسفة، وانبثقت إلي ساحة الأدب و تمثلت في كثير من القصص و الروايات والمسرحيات وهي ظاهرة تستحق الدراسة و كثير من العناية و لهذا ارتأينا أن ندرس هذه الظاهرة في إحدى الروايات لنجد الطابع الوجودي الذي يتجلي في الرواية العربية.

الكلمات الرئيسية: الوجودية، الرواية، الخروج من التابوت، مصطفى محمود.

١- المقدمة

من المؤكد أن الإنسان قد أثار اهتمام الفلاسفة منذ قديم الزمان و الفلسفة الوجودية قد انكبت علي معرفة الإنسان و جوهره و تلتزم التزاما صارما علي قاعدة "الوجود يسبق الماهية" يعني أن الإنسان على عكس الأشياء، لا يمتلك ماهية أو طبيعة، بل وجودا. و تعالج هذه الفلسفة المفاهيم الوجودية و كل ما يمت إلي الإنسان بصلة.

تعتبر الفلسفة الوجودية فلسفة الوجود الإنساني و تنماز عن غيرها بالتوسيع و الإنتشار و ربما تكون اكثر تلائما مع روح العصر الراهن و هذا من حيث اهتمامها بقضايا تختص بالإنسان المعاصر. ١ «فالإنسان بوصفه الذات المفردة، هو مركز البحث، و أحواله الوجودية الكبرى مثل: الموت- الخطيئة- القلق و المخاطرة و غير ذلك هي المقومات الجوهرية لوجوده و الحرية و المسؤولية و الاختيار هي المعاني الكبرى في حياته ٢.» و تجدر الإشارة هنا إلي أن الفيلسوف الدانمركي "سرن كيركجور" (١٨١٣-١٨٥٥) يمتلك ناصية الفلسفة الوجودية و هو أول فيلسوف يحمل لقب المفكر الوجودي و رائد الوجودية و مؤسسها ٣.

علي الرغم من أن الوجودية هي ظاهرة القرن العشرين لكن جذورها ممتدة في الماضي و تضرب عمقا في تاريخ الوعي البشري و كانت لها وشائج قربي مع تلك المحاولات و المغامرات التي قام بها الإنسان قبل ظهور الفلسفة لكي يصل إلي لون من ألوان الفهم لذاته. ٤ و المتأمل في فلسفة "سقراط" يجد أنه قد دعا إلي معرفة الذات البشرية و صرخته المشهورة "إعرف نفسك" خير شاهد علي ذلك و تبرز مدي اهتمامه بمعرفة الذات الإنسانية؛ فمعرفة الذات من أسمى غايات البحث الفلسفي و هذه الغاية قد بقيت ثابتة لا تتغير خلال كل المعارك التي نشبت بين مختلف المذاهب الفلسفية. ٥

و الواقع أن كان لسقراط أهمية بالغة في تكوين الفلسفة الوجودية إذ تحول بفضل الاهتمام من الطبيعة إلى الإنسان نفسه بوصفه محور البحث الفلسفي. و أصبح السؤال عن الذات البشرية هو منهج الفلسفة. ٦

يظل من الصواب أن نقول علي الرغم من أن الوجودية كانت لها بوادر منذ القديم لكنها بقيت ردحا من الزمن غير مألوفة و كان يصعب تمييزها في المراحل المبكرة من التفكير البشري و قد أخذت تنمو بالتدرج حتي أصبحت فلسفة القرن العشرين من دون منازع و لكن الأسئلة التي تطرح نفسها في هذا الصدد هي أن، لماذا ازدهرت الوجودية في عصرنا الراهن؟ و لماذا وجدت القارة الأوروبية أرضا خصبة لظهورها؟ و هنا لابد لنا أن نتوقف قليلا عند أجابة الأسئلة السابقة الذكر: الواقع أن الاسلوب الوجودي في التفكير ينبثق كلما وجد الإنسان أن أمنه قد أصبح مهدداً، و عندما يدرك ألوان الغموض و اللبس في العالم، و تنقلب البنية الاجتماعية رأساً علي عقب. ٧ و يبدو أن من أول العوامل التي مهدت الأرضية لنشأة هذه الفلسفة في عصرنا الراهن و في القارة الأوروبية هي الأوضاع و التطورات السياسية و الاجتماعية الحافلة بالقلق و التي ارتبطت بالمجتمع الفرنسي قبل الحرب العالمية الثانية و تناولت الوجودية بالأحري قضايا الإنسان المعاصر و احتوت معاناة الإنسان و هذه الأحداث لها الدور الرئيس في تنمية الوجودية في هذه البرهة الزمنية. ٨

و لا بأس من الإشارة إلي أن الوجودية قد تسربت إلي ميدان الأدب و وجدت الأدب العربي أروع مسرح لتجسيم ما تحتوي عليه من أصول و مظاهر. و قد تأثر الأدباء أيما تأثر بأنماط هذه الفلسفة دون وعي و بلغوا بها شأواً بعيداً. فهناك جل من الأدباء اتجهوا اتجهاً منقطع النظير نحو الوجودية و من بينهم يمكن الإشارة إلي "مصطفى محمود" بوصفه انموذجا من أدباء العرب لهذا التأثير و لهذا ارتأينا أن يكون موضوعنا هو دراسة الوجودية في رواية

"الخروج من التابوت" لهذا الكاتب. و الجدير بالانتباه هو أن هذا الاختيار لم يكن عشوائيا بل لما لمسنه في روايته الرائعة من نزعة وجودية واضحة المعالم. و هدفنا الرئيس في هذا البحث هو الوقوف علي سر الطابع الوجودي الذي يكمن في هذه الرواية و ينبغي لنا بعد قرائتنا للرواية الإجابة علي هذا السؤال: كيف وظّف الروائي "مصطفى محمود" الفلسفة الوجودية في رواية "الخروج من التابوت"؟

فرضية البحث: يمكن القول إن الكاتب من خلال معالجته للموضوعات الوجودية مثل: صراع العالم المادي مع عالم الروح، والقلق الوجودي، الإرادة و الحرية و فكرة الموت و غيرها، وظّف الفلسفة الوجودية في روايته. و للإجابة علي هذا السؤال اتبعنا في هذه الورقة البحثية المنهج الوصفي - التحليلي لما في هذا المنهج من مجال فسيح للوصف في الرواية و تحليل المواقف و الأحداث فيها.

٢- خلفية البحث

لاشك في إن الوجودية نالت عناية واسعة من قبل الباحثين و قد أفردت دراسات جديرة بالذكر لهذا الموضوع و من أهمها علي سبيل المثال: - سهيلة بوقرة: «مشكلة الوجود عند جان بول سارتر»، جامعة محمد بوضياف-المسيلة، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية، الجزائر، ٢٠١٥-٢٠١٦.

- خليل پرويني: «الحرية الوجودية في الرواية العربية المعاصرة؛ دراسة في "أصابعنا التي تحترق لسهيل إدريس"»، مجلة إضاءات نقدية (فصلية محكمة)، ايران، العدد التاسع عشر، صص ٣٩-٩، ٢٠١٥.

- غمري جميلة أمينة: «تجليات المذهب الوجودي في رواية "يوم رائع للموت" لسمير قسيمي»، جامعة محمد خيضر، كلية الآداب و اللغات، بسكرة، الجزائر، ٢٠١٥-٢٠١٦.

- مجيد محمدي بايزيدي وآخرون: «الحب الوجودي في روايتي "جيل القدر" و "ثائر محترف" لمطاع صفدي»، مجلة الجمعية الايرانية للغة العربية وآدابها، فصلية علمية محكمة، العدد ٤١، صص ٣٨-١٩، ٢٠١٧.

أما في ما يخص موضوعنا فلم نعثر علي حد علمنا و إطلاعنا علي دراسات سابقة حوله و لا يوجد مقال مستقل قد تطرق إلي دراسة الوجودية في رواية "الخروج من التابوت" للكاتب المصري "مصطفى محمود" و من هذا المنطلق تعد هذه الدراسة دراسة جديدة و مثمرة من حيث تركيزها علي مقولات الوجودية التي تجلت في الرواية و وصفها و تحليلها علي أساس مبادئ هذه الفلسفة.

٣- الوجودية: موضوعاتها و مبادئها

تعد الوجودية من أهم المذاهب الفلسفية و هي تعبر بصدق عما يجول في وجود الإنسان من مشاعر كالقلق و الفشل و مشاعر أخرى و تنحصر الوجودية عند فلاسفتها في ذلك النوع الذي ينتمي إلي الإنسان. «الوجودية لغة، كلمة أصلها يوناني و تعني الخروج أو الانبثاق إلي الوجود، و هذا الانبثاق بالنسبة للإنسان، يعني أنه يتم بإرادة حرة. أي باختيار حر بمعني آخر إن الإنسان يضفي من خلال هذا الانبثاق عن العدم إلي الوجود، أنماطا أو شكلا وجوديا جديدا، نتيجة لاختياره الحر.»^٩ لقد حاول كل من فلاسفة الوجودية أن يعطي بتعريف دقيق حول مفهوم الوجود و الفيلسوف الوجودي "كارل يسبرز" قد أدلي برأيه في هذا الشأن قائلا: الوجود هو الحرية، لا الحرية التي تصنع نفسها و يمكن ألا تظهر، بل تلك الحرية التي هي فقط هبة العلو

التي تعرف واهبها و لا وجود بغير علو. و الوجود هو الذات الفردية التي تظل دائما فردية و التي لا يمكن الاستعاضة عنها أو استبدالها ابدا. ١٠

الوجودية فلسفة للذات لا للموضوع، حيث أن الوجود الحقيقي هو الوجود الذاتي، أما الوجود الموضوعي هو الوجود بين الموضوعات و الحياة علي غرار الموضوعات فهو وجود زائف و متشتت و بمثابة تزييف للذات الحقة لأن الإنسان لا يكون مالكا لذاته بقدر ما تكون الأشياء مالكة له. ١١

«إن الفلسفة الموسومة بالوجودية، لا تعتبر الواقع موضوعا في مواجهة فاعل عارف، بقدر ما تعتبره وجودا يحولنا الاحتكاك به، و هي لا تعزل فينا الملكة العارفة لباقي كوننا، إذ تجعل الفرد بكامله، بكل استجاباته الوجدانية و الشعورية تجاه الأشياء، يشارك في البحث الفلسفي.» ١٢ و انطلاقا من هذه النظرة تعد الوجودية بمثابة ثورة عنيفة ضد الفلسفات التقليدية و تري أن لا العقل و لا العلم قادرين علي الوصول بنا إلي اليقين، لأنهما عاجزين عن فهم ما نتعرض له في كل حين من ظواهر وجودية مثل الموت و الذنب و غيرهما و فضلا علي ذلك دعت الإنسان أن يهتم بوجوده و الحالات المختلفة التي تطرأ عليه لا أن يتهرب منها أو يتحجب وراء حجج العقل الفارغة أو أدلة المنطق الالامجدية. ١٣

و خلاصة القول عن الوجودية، إنها أسلوب أو نمط فكري تؤدي إلي مجموعة حافلة من الآراء القيمة حول وجود الإنسان و طريقته في التعامل مع ما يحدث في حياته من آلام و مصائب لاسيما عند عزلته و وحدته. و عند التأمل في أصولها يتضح لنا إن الوجودية ليست فلسفة متشائمة كما يري البعض بل أنها فلسفة اكثر تفائلا من غيرها و لاشك في إن الوجودية فلسفة متفائلة لأنها تدعو الإنسان إلي التأمل في ذاته و كشف قدرته و اتخاذ قرارات حياته بيده و أن لا يكون خاضعا لقرارات غيره لأن الإنسان خلق حرا و عليه

أن يعتمد علي ذاته المطلقة؛ ولا ريب في أنها فلسفة تحث الإنسان علي إرادته الصارمة في انطلاقه نحو المستقبل و تتمسك بهذا الشعار: إن الإنسان ليس سوي ما يصنعه هو بنفسه.

أما علي صعيد موضوعاتها، فالوجوديون أخذوا يطرحون موضوعات ذات أهمية بالغة تلم بالإنسان معبرة عما يدور في خلجات نفسه و روحه. و كان جلّ اهتمامهم تطور الإنسان فيما يقوم به من أعمال و انجازات. و قد أصبحت لهذه الموضوعات دويًا ضخما في حياة البشر و لعبت دورا مؤثرا في توعيته و ازدهار مستقبله، و من جملة هذه الموضوعات هي: الحرية، التعالي، المسؤولية، الإثم، الإغتراب، الموت، الوحدة، الضياع، السأم، الخيبة، الرفض، الإرادة، القلق و غيرها.

الوجودية بوصفها مذهباً فلسفياً لها مبادئ شتى نستطيع تلخيصها بما يأتي:

- الإنطلاق من الذات التي هي مركز المبادرة و مقرّ الوجدان و الشعور.
- الإنسان موجود متكامل أي بعقله و مشاعره، و جسده و روحه.
- الحرية هي الوجود الإنساني، و لا إنسانية من دونها. و هذه الحرية تعمل ضمن المعايير الفردية لا ضمن المعايير الأخلاقية و السياسية و الدينية السائدة.

- يتخذ الفرد قراره و موقفه. و هذا الموقف ذو قيمة مستقبلية لأنه اتجاه في عملية تجديد المستقبل حين تتلاقى القناعات و المواقف في نقطة واحدة.

- تشتبك الذات الفردية بالعالم الخارجي اشتباك تفاعل. و كل من هذين

الطرفين شرط لوجود الطرف الآخر. و هذا هو الواقع. ١٤

٤- الوجودية و الأدب

يعد الأدب مرآة تعكس واقع الحياة و تعبر بصدق عن أزمة أو قضية إنسانية مهمة تشغل البال و يعانيتها الناس و تشتبك بحياتهم. و الأدب الجيد هو ذلك الأدب الذي يأخذ طابع المجتمع في حقبة زمنية معينة.

إن الوجودية «من أهم التيارات الفكرية التي زحفت إلى الأدب العربي الحديث.»^{١٥} امتزجت الوجودية بالأدب؛ لأنها وجدت خير وسيلة لتحليل الواقع الإنساني و الكشف عما يحدق به من الضغوط و التحديات، و تحصيله لحريته الكاملة و النضال لإثبات وجوده و اختيار مصيره. و لقد كان معظم فلاسفة الوجودية أدباء عرضوا أفكارهم و نظرياتهم من خلال أبداعاتهم الأدبية و من أبرزهم "سارتر" الذي خلف عدداً كبيراً من القصص و الروايات و نشر فيها أفكاره الوجودية مثل: "موتي بلا قبور"، و "الدوامة" و أيضاً "ألبيرو كامو" الذي تبلورت في مسرحياته الظواهر الوجودية مثل مسرحية: "العادلون"، و "الحصار".^{١٦}

إذا أمعنا النظر في الأدب الوجودي نجد أنه «تعبير عن روح العصر الجديد المتميز بالحرية و القلق و الاضطراب و عدم الاستقرار و البحث الدائم عن الجديد الشديد الجذب و التأثير لملء الخواء الوجداني لدى المشاهدين و إرضاء حاجات التطلع و التساؤل الحائر في عالم انتقل فيه الإنسان من الوقوف علي صخرة الواقع الراسخة في الزمان و المكان إلي الانطلاق و المشي في الفضاء في عالم اللأوزن الذي تحتل فيه المقاييس و المعايير.»^{١٧}

«تلجأ الوجودية إلي الروايات لتجسيم ما تحتوي من الأفكار عن طريق حوادثها و شخصياتها و طريق سردها.»^{١٨} و لا بد من الإنباه إلي أن مهما كان إطار الرواية فهي تنطلق من واقع خارجي أو نفسي يريد الكاتب معالجته لهدف يريد بلوغه.^{١٩} و أدباء العرب ساهموا في نشر الوجودية في المجتمع

العربي عن طريق رواياتهم وتأليفاتهم و من بينهم الكاتب "مصطفى محمود" و في ما يلي نلقي الأضواء علي أهم تجليات الوجودية في أدبه.

٥- التعريف "بمصطفى محمود"

"مصطفى محمود" قد أبصر النور في مصر عام ١٩٢١. و ينتهي نسبه إلي علي زين العابدين (عليه السلام). تلقى تعليمه الاولي بمدينة "طنطا". درس الطب و تخرج عام ١٩٥٣ و تخصص في الأمراض الصدرية و بعدها انتهج سبيل الكتابة و البحث في عام ١٩٦٠. هو مفكر و كاتب و اديب و قد ألف ٨٩ كتابا منها الكتب العلمية و الدينية و الفلسفية و الاجتماعية و السياسية، فضلا عن الحكايات و المسرحيات و قصص الرحلات، و انماز أسلوبه بالجاذبية مع العمق و البساطة. كان عنده ميل متنامي نحو الفلسفة و كان جادا منتهي الجدية لكشف كوامن النفس و قد خلف كتبنا نستطيع أن تعدها تعبيرا عن توغله في الفلسفة تلك الفلسفة التي تصوغ من الخيال الفكري سلمَ جمال يصعد فيها القارئ لفهم ما يريد الكاتب وصفه و من أشهرها: "حوار مع صديقي الملحد"، "الخروج من التابوت"، "رجل تحت الصفر"، "الروح و الجسد"، "الأفيون" و غيرها من كتب تفصح عن مغامراته الفلسفية و جهوده العميقة و المتواصلة التي لا تعرف الملل. ٢٠.

«قدم "مصطفى محمود" ٤٠٠ حلقة من برنامجه التلفزيوني الشهير (العلم و الإيمان) و هو برنامج حتي الآن يتربع علي عرش البرامج الوثائقية التي تتحدث عن العلم و علاقته بالدنيا كما يتطرق إلي الدين... كما تطرق إلي أشياء كثيرة... و أنشأ عام ١٩٧٩ مسجدا في القاهرة المعروف بـ "مسجد مصطفى محمود". أما عن وفاته فقد توفي الدكتور مصطفى محمود في يوم ٣١ أكتوبر من عام ٢٠٠٩ و الوفاة جاءت بعد رحلة علاج استمرت شهورا

عديدة، وشيعت جنازته من مسجده مصطفى محمود المتواجد بمنطقة المهندسين.» ٢١

ولاشك في إن "مصطفى محمود" أثري ساحة الفكر والعلم وفتح نوافذ جديدة في الفكر لم تفتح من قبل وذلك من خلال انشغاله بقضايا فكرية بطريقة أخاذة وهذا الذي قد جعل القارئ يتأثر بكتبه من ألفها إلى يائها ومع إتساع أعماله الفكرية والأدبية والعلمية يعرب "مصطفى محمود" عن جهوده قائلا: "رغم كل شيء فأنا مازلت أراني في بداية الطريق وكل ما كتبت هو في نظري ليس أكثر من مسودة ناقصة وبين ما أنجزت وبين ما أحلم به بون شاسع و مازلت أتتلمذ كل يوم علي يد كل إنسان."

٦- "مصطفى محمود" وإقباله علي الوجودية

أشرنا سالفاً إلي أن الفلسفة الوجودية قد انبثقت إلي ميدان الأدب وتأثر بها زمرة من أدباء العرب أمثال "مصطفى محمود" الذي اعتني بها عناية خاصة بما أنه كان في مرحلة زمنية تفيض بالصراعات والآلام وكان الإنسان بأمس الحاجة إلي ادب يعبر عن معاناته إزاء الظروف التي يعيش فيها؛ وقد أتاحت له هذه الظروف السائدة فرصة ذهبية لكي يميل إلي هذا المذهب الفلسفي. اهتم "مصطفى محمود" بالفلسفة العميقة ولاسيما الفلسفة الوجودية واستطاع أن يطرح أفكاراً وقضايا تشغل البال وتجعل القارئ يعيش في صراع روحي لمعرفة الحقيقة عن نفسه وحياته. ومن خلال تصفح رواياته الفلسفية ندخل في عالمه الفريد الذي يمنحنا الجرعة المكثفة لكي نكشف سر العالم، السر الذي بداخلنا لكننا بسبب الجهل عاجزين عن معرفته.

قد يكون من الصواب أن نقول إن سبب إقبال "مصطفى محمود" علي الوجودية «يرد إلي إشتهار سارتر في المجتمع العربي، وحاجة هذا المجتمع إلي مبادئ هذه الفلسفة الايجابية كالاختيار، والحرية والالتزام وهذا ما قد جعله

يرنو إليها كأداة ضرورية لبناء شعبه من جديد كمحرض حقيقي علي أن يتبين أبناء شعبه ماهو واقعهم و يلتزموا بحلولة.» ٢٢
ولا بدّ من الإنباه إلي أن في عالم اليوم المتسارع الأحداث فقد الإنسان المعاصر في كثير من الأحيان شعوره بالإنسانية و هذه الحقيقة ناجمة عن إنهماكه في عالم المادة الذي يستنزف كل قواه و طاقاته و يحوله إلي آلة صماء و يبعده عن روحه و إنسانيته شيئاً فشيئاً؛ و في ظل هذه الظروف كان لا بدّ من أدب يوقظ روحانيات الإنسان و يدعوه إلي التركيز في كينونيته فقد رأي "مصطفى محمود" ظمأ الإنسان المعاصر إلي هذا النوع من الأدب و لهذا وظّف الفلسفة الوجودية في أعماله و من خلال أصالته الفكرية كان يحث الإنسان بالتعمق في صفائه النفسي بعيداً عن عالم المادة و زخارفها.

٧- قراءة في رواية "الخروج من التابوت"

رواية "الخروج من التابوت" رواية مميزة مثيرة تسترعي انتباه القارئ من الحرف الأول حتي الأخير بحيث لا يستطيع منع نفسه من إعادة قرائتها. و هي رواية مفعمة بالمعاني الفلسفية و فيها معاني غزيرة الجدوي و أفكار تثير الإعجاب من شدة الروعة لاسيما في الفقرات التي تقدم من خلال أحداث الرواية و شخصياتها نصائح للمتلقي و كلما يقرأها المتلقي لمرات أكثر يجد فيها معاني أنبل في النفس و أسطع. إن هذه الرواية الرائعة للرائع "مصطفى محمود" تطلب إمعان فكر و تدقيق نظر بما أنها تضع القارئ أمام أسئلة مصيرية كما أنها تحتاج إلي كد الذهن في فهمها و هي من هذا الحيث أشبه بالجوهر في الصدف لا يبرز بصورة جلية و مباشرة لكل أحد إلا بعد كد و جهد. و بالطبع هي مستوحاة من حالة عميقة فلسفية في الحياة.

تبدأ الرواية بسفر الراوي من مصر إلي هند لرؤية معالمها و حضارتها و تحكي إن عند دخوله إلي أرض هند برفقة دليله "كاكوما" يري منظراً مدهشاً و

هو منظر "براهما واجيسوارا" الذي يطير من علي الأرض تماماً ويبقي ممدداً علي الهواء وكأنه ممدد علي فراشه. هذا الموقف الخارق يثير حيرته و مع إن الدليل كان يسعى أن يبعده من التفكير بهذا الرجل المشعوذ، إلّا أن الراوي لم يقتنع و لم يقبل بأنه مشعوذ و بقيت الحيرة تدور في رأسه لمعرفة حقيقة ما يفعله ذلك البطل و من ثم غامر و التقى به و عرف أنه علي خلاف ما يفوه به الناس هو ليس فقيراً و مشعوذاً بل إنه رجل عظيم قد تعلم تعليماً عالياً في أحدي جامعات بريطانيا و يجيد الانجليزية بطلاقة كما أنه يحفظ الكتب السماوية الثلاثة و علي علم بكل المذاهب الدينية. و قد عرف الراوي من خلال زيارة بطل الرواية في هند حقائق جمة ما عرفها طوال حياته و هي حقائق عن الذات و الروح و الجسد و بعد مغادرته لأرض هند و رجوعه إلي القاهرة لمتابعة عمله و هو الاكتشافات الأثرية في مصر اكتشف من خلال عمله حقائق كان يجهلها. و عرف أسرار قيمة من خلال حديثه مع الأشخاص الذين كان يراهم في الرؤيا و بعد برهة زمنية وجد بين رسائله، رسالة من هند تخبره نبأ وفاة ذلك البطل الذي تعرف عليه في هند و أدرك للحال إن كل من كان يخبره بالأسرار في أحلامه ما هم إلا صور متعددة لشخص و روح البطل الوجودي في دنيانا و التي عاشت من قبلنا بأعوام.

و ينبغي لنا أن نقول إن رواية "الخروج من التابوت" تدعو الإنسان بالخروج من تابوت الجهل و من شرقة الفكر المحدود إلي الحقيقة الكبرى عن الوجود و الذات و الحياة.

٨- الوجودية في رواية "الخروج من التابوت"

٨-١ الحرية

تعد الحرية من أجمل طموحات البشر و لا ريب إن أمل الوصول إلي الحرية المطلقة هو أمل فطري كامن في النفوس البشرية لأن النفس عادتاً لا

تميل إلا إلي ما هو محب لها، في الحقيقة «الحرية هي العدم الذي قد كان في صميم الإنسان، و يحمل الآنية علي أن تصنع نفسها بدلاً من أن تكون». [٢٣]. و من أهم سمات الفلسفة الوجودية فكرة الحرية و قد تناولت الوجودية موضوع الحرية بإسهاب لتبلغ فيه شأواً أعظم و هي اكثر الفلسفات حديثاً و ميولاً إلي الحرية. «و لا تكاد تجد موضوعاً أقرب إلي قلب الوجوديين من الحرية، فهو يعالج عند جميع الكتاب الوجوديين، و هو بارز عند كيركجور الذي يري أن الوجود البشري و الحرية تعبيران مترادفان تقريباً. و ليس الاهتمام بالحرية، أو بالأحرى الافتتان بالحرية، صوراً في أي طائفة خاصة من الوجوديين، فاثنتان من أعظم رسل الحرية في القرن العشرين، بغير نزاع، كانا فيلسوفين ملحدتين هما: سارتر و كامى... و لقد كان سارتر مصرّاً مثل كيركجور علي أنه لا يمكن التمييز بين الحرية و الوجود البشري... و أن الوجود البشري و الحرية متحدان و هما شيء واحد». [٢٤]

إن أبرز غاية في رواية "الخروج من التابوت" هي الوصول إلي الحرية بحيث إن كل الغايات قد تنتهي إليها و الحرية المقصودة في هذه الرواية هي الحرية الوجودية و المطلقة؛ فإنّ البطل الوجودي في هذه الرواية قد سعي من خلال أعماله أن يبين إن الإنسان و الحرية توأمان و لا يمكن أن يستمر الإنسان بالحياة الطيبة دون الحرية. و تأسيساً علي ما سبق فإن عند قراءة هذه الرواية نجد في طياتها الحديث عن الحرية المطلقة عن طريق الحوار الذي يدور بين الشخصيات في موضوع الحرية:

«اعبد إلهك، إلهاً موضوعياً، تتمثل فيه و تصدر عنه جميع القوانين الطبيعية الحكيمة، التي يكتشفها العلم ببطء و مشقة. و حاول أن تعيش في توافق مع نواميسه الحكيمة، فهذه هي حريتك». [٢٥]

يتضح لنا من خلال هذه الفقرة إن للحرية سبل وإحدى سبلها عبادة الله والإيمان الذي يؤدي إليها. وعندما يعيش الإنسان تحت عبودية الله هذا لا يدمر حريته كما يزعم بعض الوجوديين الملحدون بل علي خلاف ذلك فهذه العبودية هي التي تمهد له الطريقة لنيل الحرية في حياته. فمن خلال هذه الفقرة يتضح لنا إن "مصطفى محمود" ليس من زمرة الوجوديين الملحدون الذين يعدون الإيمان بالله ينافي الحرية ويجعل حياة الإنسان مقدرة من قبل وإن الإنسان ليس له أي حرية ودور في تعيين طريقه ومستقبله.

هذا الطابع الوجودي في هذه الرواية يفسر لنا أن الحرية هي الهدف الأسمى التي تهدفها الكائنات كلها وفي رأسها الإنسان. وهو يستطيع الوصول إليها عن طريق عبودية الله، وهذه العبودية هي الإيمان بعينه، فالعبودية والإيمان أهم طرق الوصول إلى الحرية.^{٢٦}

بالطبع إن طريق الوصول إلى الحرية لا يخلو من بعض العراقيل والروادع التي تحول دون وصول الإنسان إليها وهذا ما تطرق إليه "مصطفى محمود" في روايته:

«و حينما تتحكم المذاهب في الحياة: تتجمد الحياة وتتوقف وتموت...
تموت الدهشة... ويموت الفضول والخيال والابتكار... تموت النشوة الخارقة
التي يبعثها المجهول، وتتحول الحياة إلى قواعد وقوانين يسمونها علماً... و
هي ليست من العلم في شيء...»^{٢٧}

«ولا توجد حروب، لأن صراع الخير والشر يتخذ مظهراً عقلياً
ضماًئرياً... ولا يوجد إكراه ولا إجبار، وإنما حرية مطلقة. والحرية هناك في
التوافق مع القانون السماوي...»^{٢٨}

أشرنا سابقاً إن الراوي من خلال زيارته لهند قد عرف معلومات عن الحياة وأسرارها، معلومات لم يكن يعرفها من قبل، إن الحياة الحرة والسليمة

تكون نتيجة عدم تحكم المذاهب و القوانين فيها و تتحقق من خلال رفض الإنسان لهذه القوانين التي تسلب منه الإختيار لبناء حياته و تقف عثرة في سبيله و تحول حياته إلي ظلام قائم بعيدا عن الحيوية و النشوة.

«لكل إنسان هدف في حياته، و لا تخلو الأهداف من الصعوبات و الموانع مهما كانت سهلة، فعندما يقصد الإنسان الحرية كالهدف الأفضل في حياته، فهذا الهدف ليس بعيدا عن المشقات و الموانع.»^{٢٩} و إذا رام الإنسان أن ينال هدفه الأسمى و هو الوصول إلي حياة حرة لا بدّ أن يكافح لأجل حريته مهما كلفه الأمر من صعوبة لأن الانسان عادة عندما يواجهه العراقيل يصاب بالإحباط من عدم قدرته لنيل غايته و كما هو معروف عند الوجوديين «الحجة الحاسمة التي يستخدمها الذوق السليم ضد الحرية هي تذكيرنا بعجزنا... و هذه الحجة لم تزعج أبداً أنصار الحرية الإنسانية إزعاجاً عميقاً فديكارت، كان أول من اعترف في وقت واحد بأن الإرادة لا نهاية لها و إنه "ينبغي أن نسعي أن نقهر انفسنا بدلاً من الحظ"»^{٣٠} و ربما أول ما يتبادر لأذهاننا من خصائص الحرية، هو قدرتنا علي الرفض و الوقوف أمام الموانع و العقوبات التي تقيد اختيار الحر.^{٣١}

«فالإنسان لا يزال يبحث عن حياة بعيدة عن الحرب، فلهذه طرق و هي الحرية.»^{٣٢} و عندما يحظي بالحرية تكون حياته بعيدة عن أنواع الحروب كما إن الإنسان لا يحب أن يكون عبدا للقوانين و المذاهب و «الإنسان يعني حريته حين ينزع نفسه من عادات و تقاليد المجتمع، و هو في هذه اللحظة يحدد موقفه الحاضر، و يتخذ باختياره طريق المستقبل بالتزام حر.»^{٣٣} و عندها سيبلغ إلي غايته الرئيسة ألا و هي الحرية المطلقة التي لا تشوبها أي شائبة و لا يتحكم بها أي قانون إلا القانون السماوي الذي يكون متناسقا و متلائم معها و هذه الحرية المطلقة هي التي سعت الوجودية إلي إيضاح معالمها و طرق

الوصول إليها و ويرى الوجوديون إن «الإنسان يظل حراً حرية مطلقة، حتي وهو في أشد المواقف قهراً و جبراً و تعيناً.»^{٣٤} و لكن لا بد من التنبيه إلي أن الحرية المطلقة «لا تعني مطلقاً أن يحصل المرء علي كل ما يريد، بل هي تعني فقط أن الإنسان يختار بذاته، و أنه هو الأصل في وجوده. فالحرية تعني استقلال الاختيار و قيامه بذاته.»^{٣٥}

لقد اتضح لنا الأمر بوضوح إن أحدي مظاهر الفلسفة الوجودية في رواية "الخروج من التابوت" تجسدت في فكرة الحرية و الحرية قد أخذت مكانة قيمة في هذه الرواية.

٢-٨ فكرة الموت

لاتزال فكرة الموت مقولة تشغل بال الإنسان و ذات تأثير علي مشاعره و لعل أهم ما يثير قلق الإنسان هو التفكير بالموت و غالباً يضطرب عند تذكيره بالموت أشد الإضطراب. «لقد تجنب الناس طوال العصور منظر الموت، و ذكر الموت، و ابتكروا طرقاً لاحتصان أنفسهم، عندما يجدون أنه لافر أمامهم من مواجهة حقيقة الموت، بأن الموت لن يغير شيئاً في الواقع، و أن الأمور سوف تجري بعد الموت كالمعتاد. و لقد بذلت محاولات محمومة في أمريكا المعاصرة، علي سبيل المثال، ربما لم تبذل مثلها في أي حضارة أخرى، لانتزاع حقيقة الموت أو إنكارها.»^{٣٦} و لكن مهما كثرت المحاولات فإن الموت حقيقة لا مفر منها و لا بد للإنسان بدلاً من الهروب من ان يقف عند هذه النقطة و يسعى لكشف حقيقتها.

و نظراً لأهمية معرفة حقيقة الموت قد ضربت الوجودية علي أوتارها و ركزت علي هذه الفكرة تركيزاً ملفتاً و أصبحت فكرة الموت من أهم عناصر الفلسفة الوجودية. من الواضح إن الموت هو الرمز الكبير للتناهي البشري و ربما للعبث البشري. و مع ذلك فينبغي ألا نفترض أن أولئك الوجوديين الذين

وضعوا الموت في مركز تفلسفهم و نصب أعينهم كانوا، بناء علي هذا الاعتبار، عدميين، بل هم علي خلاف ذلك لا يعدون الموت بمثابة نهاية الوجود، فهيدجر يجد في الموت مخرجاً إلي الوجود البشري الأصيل.^{٣٧} سيكون من المفيد أن نقول إن رواية "الخروج من التابوت" في انموزج أعلي لهذه الفكرة و مما يلفت النظر عنوان هذه الرواية الذي يستفز الذهن لهذه الفكرة فعندما يقرأ المتلقي العنوان يتسائل من نفسه كيف يخرج الميت من تابوته؟ فلا بد أن تحتوي الرواية علي إجابات لهذا السؤال. و يمكننا التمثيل لفكرة الموت الرواية بالحوار الذي دار بين الراوي و صديقه في هند:

«- قل لي بصراحة هل تعتقد ببقاء الإنسان بعد موته...»

- إذا كانت الشمعة حينما تنطفئ يظل نورها يرتحل ملايين السنين في الفضاء حيث يمكن أن يلتقط و يشاهد... و هذا شأن شمعة... فما بالك بإنسان تنطفئ حياته... كيف تستبعد أن يكون له بقاء بعد موته... أنظر إلي السماء تري بين النجوم اللوامع نجوماً تتألق، يقول لك الفلكيون أن نورها انطفأ من ملايين السنين... و هذا شأن المادة باقية أبداً... تتحول و تتحول ولكنها لا تفني فما بالك بالإنسان و هو أرقى مادة في الوجود...»^{٣٨}

هذه العبارات لابد من أن توحى للقارئ بفلسفة الموت عند "مصطفى محمود" فهو كالوجوديين المتدينين يري إن الإنسان لا يفني بالموت و بقاء الإنسان بعد الموت حقيقة واضحة لا تحتاج إلي أي برهان و يتضح لنا من هذه العبارات إن «الكل يذهب، و الكل يعود، و عجلة الوجود تدور إلي الأبد، كل شيء يموت و كل شيء يعود فيزدهر، و سنة الوجود تدوم إلي الأبد، كل شيء يتحطم، و كل شيء يعود فيلتئم من جديد، و نسيج الوجود يبني ذاته إلي الأبد، كل الأشياء تتفرق، و كل شيء ينضم مرة أخرى، إلي غيره، و تظل حلقة الوجود أمينة مع ذاتها إلي الأبد فالحوار موجود في كل مكان.»^{٣٩}

فضلا عن إلي هذا قد ترتبط فكرة الموت عند الوجوديين بالتوحد مع ذات الله ويذهبون الى إن الموت هو الانتقال إلي درجة أسمى وإذا تأملنا هذه الرواية نجد هذه الفكرة مطروحة فيها بوضوح:

«ولا يحدث للروح موت... وإنما يحدث لها انتقال إلي درجة أعلي وإلي عالم أبهي. وذلك بأن ترتفع ذبذبتها كلما اقتربت من الكمال. فتحن إلي عالم أكثر شفافية. حتي تبلغ غاية تطورها وكمالها. فتصل إلي الروح الأعظم وتندمج فيه.»

علي اساس ما قيل لا يكون الموت في الحقيقة سوي انتقال إلي عالم أبهي و البلوغ إلي الكمال الوجودي من حيث اندماج روح البشر بروح أعظم ألا و هي روح الله. لحظة الموت هي اللحظة التي يقف فيها الإنسان أمام الله اللحظة التي تصطدم فيها الأزلية بالزمان، وهذا لا يعني أن الإنسان تخلص من الزمان و صراعاته، وإنما تعني أن هناك بعدا للأزلية في حياته، و علي حد تعبير "مارتن ج. هاينكن" يظل الفرد في وجوده بوصفه مركبا من الزمان و الأزلية سائرا علي الطريق باستمرار، في عملية صيرورة لأن يصبح، ما يكونه بالفعل، و لكن بمعني آخر، معتليا علي الدوام ظهر موجة القرار. ٤١ كما لاحظنا أن فكرة الموت واسعة الآفاق و لا يمكن أن يستوعبها إلا ذولب كما إنها تحتاج إلي تركيز خارق.

لقد حاول "مصطفى محمود" أن يطرح هذه الفكرة بأشكال مختلفة و مكثفة و علي هذا الأساس نستطيع أن نتمثل بفقرة أخرى سعي فيها بشكل رائع لغرس هذه الفكرة في أذهاننا:

«كان المطر قد ظل يطارد هذه الجاكطة منذ كنت في المقابر من يومين... و بينما كنت أنقل محتوياتها إلي الجاكطة الأخرى، لاحظت أن المنديل لم يعد صالحا هو الآخر... و بينما كنت اتفحصه بنظرة قبل أن ألقيه للغسيل.

لاحظت عدداً من حبات القمح التي جثت بها من مقبرة أمحوتب بين طياته. و كانت كل حبة قد انفلقت عن نبتة خضراء صغيرة. و حملقت في الحبات النباتية في ذهول. بعد أربعة آلاف سنة...؟ بعد أربعة آلاف سنة... هل هذا شيء يصدق؟؟! بعد أربعة آلاف سنة... تدب الحياة و يقوم الجنين النائم من تابوته؟؟!!» ٤٢

من خلال ما سبق تجلي لنا إن «الموت ليس نهاية بمعنى هدف أو غاية، فإنه حدّ للوجود. و الوعي بالموت و قبول الفناء يعني الوعي بأن للوجود البشري حداً نهائياً، و إدراك مثل هذه الحدود يمكن المرء من التفكير في الوجود البشري بوصفه كلا متناهيًا.» ٤٣ و هذا ما أراد الكاتب إيصاله و لقد نجح نجاحاً باهراً في إيصاله إلي هذه الفكرة و ذلك من خلال رسم صورة جميلة لحبات القمح التي انقلبت بعد أربعة آلاف سنة الي نبتة خضراء فهذه صورة مثيرة و توضح الأبدية و إن الإنسان أزلي و لا يمكن أن نخدده في زمان خاص و سنين قصيرة. و اعتباراً علي ما جاء لاحظنا كيف وظّف الروائي "مصطفى محمود" أحدي من مظاهر الوجودية في روايته و هي فكرة الموت.

٨-٣ القلق

إن القلق «حالة نفسانية تظهر في وجود الإنسان، و تدلّ علي صراع بين قوتين.» ٤٤ قد اعتنت الوجودية بموضوع القلق بوصفه حالة من حالات الإنسان التي تطرأ عليه عند مواجهة بعض العوائق في حياته و إنه خاص بالإنسان دون الموجودات الأخرى؛ «يربط كيركجور القلق بتكوين الإنسان الخاص بوصفه: جسداً و نفساً و تجمعهما الروح. فطريقة تكوين الإنسان ذاتها تجعله معرضاً للتوتر، و هذا التوتر هو القلق، و مهمة الإنسان هي إنجاز مركب الجسد و النفس. و هي مهمة مشحونة بالقلق منذ بدايتها، و إذن فالقلق خاصة تتسم بها الظاهرة البشرية، فالحيوان لا يعرف شيئاً عن القلق لأن حياته

جسدية خالصة! كذلك لا يعرف الملاك شيئاً عن القلق لأن حياته عقلية خالصة. أما الإنسان الذي يجمع بين الحس والعقل، بين الجسد والنفس فهو يعيش في ظل القلق.» ٤٥ و بما أن مهمة الوجودية معالجة ذات الإنسان فالقلق بوصفه حاله ذاتية وجدانية قد شغلت بال الوجوديين. تأسيساً علي ما سلف إيراده يمكن القول «إن الوجودية هي فلسفة القلق الذي انتاب الإنسان المعاصر، لذلك تبدو شخصية الإنسان الوجودي شخصية قلقة محبطة، تلفها الحيرة من كل جانب تكاد تضمحل و تتلاشى مع ضباب العدم الذي يلف هذا الوجود. إنها فلسفة القنوط والضجر والسأم عندما لا يتأقلم الإنسان الوجودي مع وجوده في هذه الأرض. إنها فلسفة تكره الموت و الدمار، لقد أقامت الوجودية في الإنسان قلعة القلق لكي تحمي وجوده من الاضمحلال و التلاشي، لقد كان القلق أكبر عامل في وجود الإنسان في هذه الأرض بل أكبر مساهم في حماية وجوده على هذه الأرض.» ٤٦

و الجدير بالذكر هو أن القلق لا يعد في الفلسفة الوجودية عاملاً سلبيًا يحول دون الإنسان و أعماله و «إنه ليس بحاجة يفصلنا عن العمل، ولكنه جزء من العمل و شرط لقيامه.» ٤٧ و ينظر إليه كحالة إيجابية تلزم لمواصلة العمل و إنجازه و لاشك في إن ما يؤدي إلي القلق هو الشعور بالمسؤولية تجاه العمل. و يمكننا أن نبرز هذا، في رواية "الخروج من التابوت" حيث صور لنا الروائي القلق و الخوف الذي يختلج في قلبه تجاه معرفة الحقيقة التي كان يسعى لها بكل ما يملك من قوة:

«إنني أشعر بأنني أقترّب من ختام قصتي... أشعر بالخوف يغتصبي اغتصاباً... أشعر أنني فقدت الشجاعة، و فقدت الوسيلة إلي أي شيء... لقد بلغت نهاية القدرة علي طريق الآلام... لم أعد أستطيع أن أفعل شيئاً... و

كيف يستطيع عقل وحيد، يتحدى رؤي الواقع الصفيق أن يفعل أكثر مما فعلت ... ما أنا إلا إشارة علي الطريق...»^{٤٨}

في ضوء ما تقدم نجد أن القلق الذي يشعر به الراوي هو القلق الوجودي و الإيجابي و ينبغي أن نشير هنا إلي أن القلق لدي الراوي ينشأ من خلال مغامراته الطويلة و الحثيثة لمعرفة الحقيقة و يكون نتيجة كثرة الآلام التي واجهها في هذا الطريق فهو و إن بلغ نهاية الطريق و أنجز ما اراده لكنه في آخر المطاف يشعر بهاجس من الخوف و القلق لكن هذا القلق لا يفصله من مراده بل يتابع طريقه إلي اللانهاية. إن هذه النظرة في هذه الرواية كفيفة بأن تفسر لنا نظرة "مصطفى محمود" إلي فكرة القلق فهو كالوجوديين لا يري القلق حاجزا للإنسان بل يراه حالة طبيعية تطرأ علي الإنسان في إثناء عمله.

٨-٤ الإرادة

«الإرادة قدرة تتجلي حيناً للشعور، و حيناً آخر تظلّ محجوبة.»^{٤٩} إن الإنسان هو إرادته التي تقوده إلي العمل، بالطبع إن الإرادة هي الذات لإن الذات تنبثق و تظهر من خلال هذه الإرادة، و الإنسان يفصح عن ذاته الحقّة كلما تمسك بإرادته أكثر. «فليس الإنسان في أعماله كالحجر تدرجه فيتدحرج و يسقط متأثراً بجاذبية الأرض دون أن تكون له أية إرادة، أو كالنبات ليس له إلا طريق واحد فبمجرد توافر شروط معينة ينمو بالشكل المعتاد. أو كالحيوان الذي يؤدي أعماله بتأثير غريزي، كلاً إن الإنسان يجد نفسه دائماً علي مفترق طرق ليختار منها أيها شاء بملء حريته و وفق مشيئته و نوعية تفكيره و ليس مجبوراً علي سلوك أحدها لا غير و إنما الذي يعين أحد الطرق هو أسلوب فكره و اختياره.»^{٥٠} و إرادته هي السمة الأساسي في وجوده. و بما أن الإرادة تعدّ من الأحوال الوجودية لدي الإنسان قد اهتم الفلاسفة بها و سيطرت فكرة الإرادة علي الفلسفة الوجودية و درسوها الوجوديون بإتقان و

إمعان نظر. و من وجهة نظر الوجوديين «الإرادة تصنع نفسها كقرار تأملي بالنسبة إلي بعض الغايات. لكنها لا تخلق هذه الغايات. إنها بالأحرى كيفية وجود بالنسبة إليها: إنها تقرر إن السعي وراء هذه الغايات سيكون بالروية و التأمل.»^{٥١}

أما في إطار رواية "الخروج من التابوت" التي تعد لوحة فنية معبرة عن الفلسفة الوجودية و مبادئها سيلاحظ القارئ عند قرائتها إن الرواية تزخر بالإشارة إلي الإرادة و ما شاكلها و الجدير بنا الآن إشارة إلي النص الروائي الذي تتجلى فيه فكرة الإرادة:

«كنت أري الرجل وقد عقد يديه علي صدره و طار... و طار... و أقول لنفسي... كيف... و تسري في بدني الرعدة... هل يمكن... أن يخرق القانون الطبيعي بهذه البساطة... أم أنه لا قانون هناك... أم أن الإرادة هي القانون الأعلى فوق جميع القوانين... و لكنني أريد الطيران فلا أستطيع الطيران، و لا أستطيع أن أرفع نفسي إلا قفزاً بقوة العضلات ثم أعود فأقع علي الأرض قليل الحيلة مهيض الساق... بينما الرجل يتمدد في الهواء مغمض العينين و كأنه يسبح علي بحر من الزنبق...»^{٥٢}

قد أشرنا سابقاً إن الراوي قد رأى منظر مدهش لرجل عبقرى و هو يخرق القانون الطبيعي و يطير و يبقى في الهواء و هذا منظر لا يصدق أحد من الناس و قد اتهموه بأنه رجل مشعوذ لكن الراوي لا يراه مشعوذا بل يري إن الرجل بمجرد قدرة الإرادة أستطاع أن يفعل هكذا و قد أراد أن يبين للقارئ إن قانون الإرادة أعلي قانون في العالم و لا أحد يستطيع أن يحدده و إن الإنسان بمجرد إرادة شيء يستطيع أن يدركه. إن "مصطفى محمود" قد حاول من أعمال هذا الرجل العبقرى أن يرسم لنا مدي أهمية الإرادة و علي حد تعبيره: أن «الإرادة لا تعرف المستحيل...»^{٥٣}. بالنسبة إلي "مصطفى محمود"

الإرادة أسمى قانون في الحياة بينما يصعب علي كثير من الناس فهم هذه الحقيقة في أيامنا هذه. من هذه النظرة يمكن القول إن البطل الوجودي في نظر الوجوديين هو الذي بقدرة إرادته يتجاوز حدود المستحيل ولا شيء يقف في وجه إرادته. ومن هنا يتضح للقارئ إن الرواية من خلال معالجة فكرة الإرادة قد اتسمت بالطابع الوجودي.

٨-٥ الوحدة

لا يزال الحديث عن الوحدة مألوفاً عند الجميع في عصرنا الراهن و أصبحت الوحدة من السمات الرئيسة في نفسية الإنسان المعاصر؛ مع إن الإنسان يعيش في بيئته مع جمع غفير من الناس لكن يري نفسه وحيداً في العالم. إن موضوع الوحدة يرتبط ارتباطاً عميقاً بالحرية وربما من أهم الأسباب التي تجعل الإنسان يختار الإنفراد وعدم الارتباط مع الآخر هو خوفه من فقدان حريته في الحياة بحيث إن التعلق بالآخرين قد يؤدي إلي سلب الحرية.

لقد سبق أن سقنا كلمة حول الموضوعات التي يهتم بها الوجوديون وقد لاحظنا إن الوحدة من الموضوعات التي وظفها الوجوديون في فلسفتهم وجعلوا همهم معالجة هذه المقولة لكن ما يجب الإشارة إليه هو أن هناك ثمة اختلاف عميق بين الفلاسفة الوجوديين، في موضوع الوحدة؛ فهناك فلاسفة يذهبون إلي القول بأن الوجود مع الآخر هو عنصر مهم لأجل تحقيق الذات، بينما فلاسفة آخرون يعتقدون إن الآخر قد يكون حاجزاً أمام تحقيق الذات. و في رأيهم «ينبغي علي كل فرد أن يكون ضئيلاً في تعامله وعلاقته بالآخرين، و ينبغي عليه أساساً، أن لا يجري حديثاً إلا بينه وبين الله.»^{٥٤} فيتضح لنا من خلال ما سلف إن الآخر عند هؤلاء الفلاسفة يمكن أن يكون عائقاً أمام علاقة الإنسان بالله.^{٥٥}

لقد لاحظنا من خلال قرائتنا لرواية "الخروج من التابوت" ملامح الوحدة ونظرة "مصطفى محمود" إلي الآخر؛ فهو يري إن الارتباط مع الآخر يخلق حاجزا بين الإنسان و بين الله و لهذا فالأفضل أن يعيش الإنسان منفرداً عن الآخرين و يتصل بذات الله لقد حاول الكاتب أن يقدم هذه النظرة من خلال البطل الوجودي "براهما واجيسوارا" الذي قد بلغ ذروة الوحدة:

«في طريقنا إلي براهما واجيسوارا كان أمري خان يحدثني عن تاريخ حياة البراهما و يروي لي طفولته المترفة و القصر الكبير الذي كان يعيش فيه في كلكتا وكيف تلقى تعليمه في انجلترا جنباً إلي جنب مع أولاد الملوك و الأمراء... وكيف عاد إلي هند ليخلع بذلته الأنيقة و يهجر بيته و زوجته و يهيم في الجبال و الغابات حافياً عارياً لاتستر جسده إلا خرقة.»^{٥٦}

«إنه الآن يعيش في كهف بالجبل وحيداً يصلي طول النهار و في وقت الظهيرة ينزل إلي الساحة أمام القلعة الحمراء ليطلع الناس علي الحقيقة...»^{٥٧}

إن البطل الوجودي في هذه الرواية بوصفه إنساناً وجودياً حصر نفسه في كهف بالجبل ليتوحد مع ذات الله بعيداً عن الناس لأن الوجوديين يعتقدون «إن من الضروري... أن يصبح المرء فرداً منفرداً حتي تكون له علاقة مع الله.»^{٥٨} و قد حاول البطل عدم الانغماس مع الآخرين و لهذا انفصل عن بيته و زوجته لأنه يري إن وجود الآخرين يقتحم وحدته مع الله. و انطلاقاً من هذه النظرة لجأ إلي الوحدة و عاش حياة المتصوفة الذين يقضون كل وقتهم بعبادة الله. لكن ما يلفت الإنتباه هنا هو أن علي الرغم من أن البطل اختار الوحدة و الانفصال عن الآخرين لكن نظرتة إلي الآخر لم تكن نظرة تشائية فهو قد عاش وحيداً بأمل التوحد مع الله لكن هذه الحياة لم تسبب له إكراها تجاه الآخرين و هو يري نفسه مازال مسؤولاً عن الآخرين و قد كان يخصص

لهم وقتا ليطلعهم عن الحقيقة. ومن هنا يتضح لنا إن الوحدة في فلسفة "مصطفى محمود" لم تكن بمعنى عدم المسؤولية تجاه الآخرين علي الإطلاق.

٦-٨ التفكير

«الفلسفة الوجودية تؤكد تأكيداً كبيراً علي أهمية العملية التي تقترب فيها من فهم الحقيقة أو معرفتها أو الوصول إليها. وهذه الأمور ليست معدة جاهزة أمامنا للفحص، بل لابد لنا من أن نحصل عليها من خلال جهد شخصي نقوم به و التفكير هو النشاط الذي نصل بواسطته إلي المعرفة.»^{٥٩} إن الوجودية جعلت همها الدعوة إلي التفكير و الخروج من شرقة الجهل. لذلك تعرض الفلاسفة الوجوديون لمناقشة التفكير و الدعوة إلي التحرر من قيود الجهل من حيث إن «الجهل هو عدو قوي أمام الحرية... فالجهل مانع الحرية و محاربه طريق الوصول إلي الحرية.»^{٦٠}

«إن التفكير و الوجود هما شيء واحد.»^{٦١} و ما يميز الإنسان عن الموجودات هو قدرته علي التفكير و ممارسته لكشف الحقيقة. نظراً لأهمية التفكير في حياة الإنسان و بوصفها واحدة من أهم عناصر الفلسفة الوجودية، قد ركز "مصطفى محمود" اهتمامه في روايته علي الدعوة إلي التفكير و أشار في مواقف كثيرة علي الجهل الذي يحيط بالإنسان:

«نعم إنه الجنون... و حياتنا كلها جنون... نحن نأكل الجوع، و نشرب الظمأ، و نحصد الندم، و نموت جهلاء، كما ولدنا، لانعرف من أين و إلي أين و كيف... ولماذا... كنا... و كيف أصبحنا... أليس هذا هو الجنون...»^{٦٢}
«إن ما نعلمه قليل... و ما نجهله كثير لا حد له... و الإنسان عدو لما يجهل... و هو لهذا لا يحاول أن يفهم... و يغلق كل باب يدخل منه النور بغائه و تعصبه...»^{٦٣}

من خلال النص شاهدنا كيف يتألم الكاتب من الجهل الذي فتك بالمجتمع الإنساني ويؤكد علي إن الإنسان هو الذي لا يحاول أن يفهم الحقيقة لأنه لا يفكر؛ إن الحقيقة واضحة لكن بسبب عدم التفكير نحن غافلين عنها و كما يقول في الرواية: «إن الحقيقة أقرب إلينا من أصص الرياح، التي نضعها تحت نوافذنا، لو حاولنا أن نفهم... إنها تحت أنوفنا، ولكننا نستعمل أنوفنا وفقاً لتقاليد وضعت لنا من قبل... لماذا لا نحاول أن نشم في حرية.»^{٦٤}

و صفوة القول إن ما قدمه لنا الكاتب من خلال هذه الرواية عن التفكير هو «إن الإنسان الوجودي أو المفكر الوجودي هو الذي يعيش فكره، ويسعى جاهدا لتجسيد هذه الأفكار على أرض الواقع فلا يعيش عالة على المجتمع و لا يبالى بما يجري حوله، لا يعيش مهمشا ولا يقف متفرجا لا مباليا "المفكر الوجودي هو الذي يعيش فكره، انه لا يستطيع أن يحتفظ بموقف من لا يبالى بالأحداث من حوله، و هو في غمرة محاولاته منهمك في صنع نفسه و صنع العالم الخارجي"»^{٦٥} و من هذه النظرة تجلت لنا ملامح الوجودية المتمثلة في التفكير في هذه الرواية.

٩- النتائج

- و عند خاتمة هذه المناقشة يخلق بنا الآن أن نستعيد في نظرة مجملة أهم النتائج التي توصلنا إليها. لعل أهم ما تجلي لنا من خلال هذا البحث هو:
- ربما من أهم العوامل التي مهدت الأرضية لنشأة الوجودية في عصرنا الراهن هي الأوضاع الحافلة بالقلق و الإضطراب.
 - إمتزجت الوجودية بالأدب لأنها وجدت خير وسيلة لتحليل الوجود الإنساني.
 - إن إقبال "مصطفى محمود" على الوجودية قد يرجع إلي حاجة الإنسان المعاصر إلي المبادئ الإيجابية لهذه الفلسفة.

- إن علاقة "مصطفى محمود" بالفلسفة الوجودية علاقة وثيقة بحيث أنه قد أورد أهم موضوعات الوجودية في رواية "الخروج من التابوت" وهي: الحرية، فكرة الموت، القلق، الإرادة، الوحدة والتفكير.
- الحرية المقصودة في الرواية هي الحرية المطلقة وقد أخذت فكرة الحرية مكانة قيمة في هذه الرواية.
- إن فكرة الموت في "رواية الخروج من التابوت" تعني إن الموت ليس نهاية وإنما انتقال إلى عالم أبهي وإندماج مع ذات الله.
- يصاحب البطل الوجودي القلق نتيجة لممارسته للكشف عن الحقيقة وهذا القلق إيجابي ولا يكون حاجزا للبطل.
- يتميز الإنسان عن سائر الموجودات بقدرة الإرادة وتزخر هذه الرواية بالإشارة إلى الإرادة.
- إن الوحدة عند "مصطفى محمود" لا تعني عدم المسؤولية تجاه الآخرين.
- إن التفكير هو الميزة الأساس للإنسان الوجودي.
- لاشك في إن "مصطفى محمود" في رواية "الخروج من التابوت" قد سعي إلى تقديم صورة إيجابية من الفلسفة الوجودية.

هوامش البحث

- ١- سهيلة بوقرة، «مشكلة الوجود عند جان بول سارتر»، ٢٠١٥-٢٠١٦، ص ٩.
- ٢- المصدر نفسه، ص ١٢.
- ٣- جون ماكوري، «الوجودية»، تر:امام عبدالفتاح امام، ١٩٨٢، ص ٦٠.
- ٤- المصدر نفسه، ص ٣٩.
- ٥- غمري جمية أمينة، «تجليات المذهب الوجودي في رواية "يوم رائع للموت" لسهير قسيبي»، ٢٠١٥-٢٠١٦، ص ١٨.
- ٦- جون ماكوري، «الوجودية»، تر:امام عبدالفتاح امام، ١٩٨٢، ص ٤٧-٤٨.
- ٧- المصدر نفسه، ص ٦٧.

- ٨- سهية بوقرة، «مشكلة الوجود عند جان بول سارتر»، ٢٠١٥-٢٠١٦، ص ٩.
- ٩- بن سعيد محمد، «محاضرات في مقياس: فلسفة معاصرة»، ٢٠١٥-٢٠١٦، ص ٤١.
- ١٠- جون ماكوري، «الوجودية»، تر: امام عبدالفتاح امام، ١٩٨٢، ص ٧٧.
- ١١- عبدالرحمن بدوي، «الزمان الوجودي»، ١٩٧٣: ص ٤٢.
- ١٢- لالاند أندري، «موسوعة لالاند الفلسفية»، ٢٠٠١، ص ٣٨٩.
- ١٣- بن سعيد محمد، «محاضرات في مقياس: فلسفة معاصرة»، ٢٠١٥-٢٠١٦، ص ٤٣.
- ١٤- عبدالرزاق الأصفر، «المذاهب الأدبية»، ١٩٩٩، ص ١٨٤-١٨٥.
- ١٥- احسان عباس، «الاتجاهات الفلسفية في الأدب العربي المعاصر»، ١٩٦٢، ص ١٢.
- ١٦- عبدالرزاق الأصفر، «المذاهب الأدبية»، ١٩٩٩، ص ١٨٥.
- ١٧- المصدر نفسه، ص ٢٠١-٢٠٢.
- ١٨- خلي برويني، «الحرية الوجودية في الرواية العربية المعاصرة؛ دراسة في "أصابعنا التي تحترق لسهي إدريس"»، ٢٠١٥، ص ٢.
- ١٩- عبدالرزاق الأصفر، «المذاهب الأدبية»، ١٩٩٩، ص ١٩٦.
- ٢٠- Wikipedia.org ويكيبيديا.
- ٢١- المصدر نفسه.
- ٢٢- مجيد محمدي بايزيدي، «الحب الوجودي في روايتي "جبي القدر" و "ثائر محترف" لمطاع صفدي»، ٢٠١٧، ص ٦.
- ٢٣- جان بول سارتر، «الوجود و العدم»، تر: عبدالرحمن بدوي، ١٩٦٦، ص ٧٠٤.
- ٢٤- جون ماكوري، «الوجودية»، تر: امام عبدالفتاح امام، ١٩٨٢، ص ١٩٦-١٩٧.
- ٢٥- مصطفى محمود، «الخروج من التابوت»، ص ٥٩.
- ٢٦- سردار اصلاني، «الحرية الروحية في منظر ميخائي نعيمه و طرق الوصول إليها»، ٢٠١٢، ص ٢.
- ٢٧- مصطفى محمود، «الخروج من التابوت»، ص ١٣٤.
- ٢٨- المصدر نفسه، ص ٤٥.
- ٢٩- سردار اصلاني، «الحرية الروحية في منظر ميخائي نعيمه و طرق الوصول إليها»، ٢٠١٢، ص ١١.
- ٣٠- جان بول سارتر، «الوجود و العدم»، تر: عبدالرحمن بدوي، ١٩٦٦، ص ٧٦٥-٧٦٦.
- ٣١- محمد عزيز نظمي سالم، «الإسلام في مواجهة المذاهب الغريبة»، ١٩٩٦، ص ١٧١.

- ٣٢- سردار اصلاني، «الحرية الروحية في منظر ميخائي نعيمه و طرق الوصول إليها»، ٢٠١٢، ص ٨.
- ٣٣- رجاء عيد، «فلسفة الالتزام في النقد الأدبي بين النظرية و التطبيق»، ١٩٨٨، ص ١٤١.
- ٣٤- محمد شبل الكومي، «الوجودية و الحرية بين الفلسفة و الأدب»، ط ١، ٢٠١٠، ص ١٦٥.
- ٣٥- زكريا إبراهيم، «مشكلة الحرية»، ط ٢، لا تا، ص ٢١٩.
- ٣٦- جون ماكوري، «الوجودية»، ص ٢١٨.
- ٣٧- المصدر نفسه، ص ٢١٩.
- ٣٨- مصطفى محمود، «الخروج من التابوت»، ص ١٣.
- ٣٩- فردريت نيتشه، «هكذا تكلم زرادشت»، تر: أ.تي، ص ١٩٤.
- ٤٠- مصطفى محمود، «الخروج من التابوت»، ص ٤٣.
- ٤١- جون ماكوري، «الوجودية»، ص ٢٣٩.
- ٤٢- مصطفى محمود، «الخروج من التابوت»، ص ١٠٤.
- ٤٣- جون ماكوري، «الوجودية»، ص ٢١٧.
- ٤٤- محمد أحمد رمضان، «القيمة الفلسفية للقلق»، ١٣٧٨ق. ص ٤٩.
- ٤٥- جون ماكوري، «الوجودية»، ص ١٨٤-١٨٥.
- ٤٦- غمري جمية أمينة، «تجليات المذهب الوجودي في رواية "يوم رائع للموت" لسمير قسيبي»، ٢٠١٥-٢٠١٦، ص ٤٤.
- ٤٧- جان بول سارتر، «الوجودية مذهب إنساني»، تر: عبد المنعم الحفني، ط ١، ١٩٦٤، ص ٢٢.
- ٤٨- مصطفى محمود، «الخروج من التابوت»، ص ١٣٣.
- ٤٩- جان بول سارتر، «الوجود و العدم»، ص ٧١٠.
- ٥٠- مرتضي المطهري، «الإنسان و القدر»، تر: محمد علي التسخيري، ١٤٠٤ق. ص ٥٧.
- ٥١- جان بول سارتر، «الوجود و العدم»، ص ٧٠٨.
- ٥٢- مصطفى محمود، «الخروج من التابوت»، ص ٨-٩.
- ٥٣- المصدر نفسه، ص ١٣٦.
- ٥٤- جون ماكوري، «الوجودية»، ص ١٢٦.
- ٥٥- المصدر نفسه، ص ١٢٦.
- ٥٦- مصطفى محمود، «الخروج من التابوت»، ص ٢١.

- ٥٧- المصدر نفسه، ص ٢١.
- ٥٨- جون ماكوري، «الوجودية»، ص ١٢٦.
- ٥٩- المصدر نفسه، ص ١٥٧.
- ٦٠- سردار اصلاني، «الحرية الروحية في منظر ميخائي نعيمه و طرق الوصول إليها»، ص ١٦.
- ٦١- جون ماكوري، «الوجودية»، ص ١٥٧.
- ٦٢- مصطفى محمود، «الخروج من التابوت»، ص ١٣.
- ٦٣- المصدر نفسه، ص ١٣٤.
- ٦٤- المصدر نفسه، ص ١٣٦.
- ٦٥- غمري جمية أمينة، «تجليات المذهب الوجودي في رواية "يوم رائع للموت" لسمير قسيبي»، ص ٢٩.

قائمة المصادر و المراجع

- ١- إبراهيم، زكريا: «مشكلة الحرية»، ط ٢، مصر: دار الطباعة الحديثة، لا تا.
- ٢- أحمد رمضان، محمد: «القيمة الفلسفية للقلق»، المجلة، العدد ٢٤، صص ٤٩-٥٥، ١٣٧٨ق.
- ٣- الأصغر، عبدالرزاق: «المذاهب الأدبية»، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٩.
- ٤- اصلاني، سردار و خواجه گودري افسانه: «الحرية الروحية في منظر ميخائي نعيمه و طرق الوصول إليها»، إضاءات نقدية (فصلية محكمة)، العدد الثامن، صص ٣٣-٥٤، ٢٠١٢.
- ٥- أندري، لالاند: «موسوعة لالاند الفلسفية»، المجلد الأول، منشورات عويدات، بيروت-باريس، ط ٢، ٢٠٠١.
- ٦- بدوي، عبدالرحمن: «الزمان الوجودي»، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٧٣.
- ٧- بوقرة، سهيلة: «مشكلة الوجود عند جان بول سارتر»، جامعة محمد بوضياف-المسيلة، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية، الجزائر، ٢٠١٥-٢٠١٦.
- ٨- پرويني، خليل: «الحرية الوجودية في الرواية العربية المعاصرة؛ دراسة في "أصابعنا التي تحترق لسهيل إدريس"»، مجلة إضاءات نقدية (فصلية محكمة)، ايران، العدد التاسع عشر، صص ٣٩-٩، ٢٠١٥.

- ٩- جميلة أمينة، غمري: «تجليات المذهب الوجودي في رواية "يوم رائع للموت" لسمير قسيمي»، جامعة محمد خيضر، كلية الآداب و اللغات، بسكرة، الجزائر، ٢٠١٥-٢٠١٦.
- ١٠- سارتر، جان بول: «الوجود و العدم»، تر:عبدالرحمن بدوي، ط١، منشورات دار الآداب، بيروت، ١٩٦٦.
- ١١- سارتر، جان بول: «الوجودية مذهب إنساني»، تر:عبدالمنعم الحفني، ط١، لامك، لا نا، ١٩٦٤.
- ١٢- عباس، إحسان: «الاتجاهات الفلسفية في الأدب العربي المعاصر»، مجلة الآداب، بيروت، العدد ٣، ص ١٤٣-١٤٢، ٨٨-١٢، ٨١-٧، ١٩٦٢.
- ١٣- عيد، رجاء: «فلسفة الالتزام في النقد الأدبي بين النظرية و التطبيق»، الاسكندرية: نشأة المعارف، ١٩٨٨.
- ١٤- الكومي، محمد شبل: «الوجودية و الحرية بين الفلسفة و الأدب»، ط١، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠.
- ١٥- ماكوري، جون: «الوجودية»، تر:امام عبدالفتاح امام، مر:فؤاد زكريا، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٢.
- ١٦- محمد، بن سعيد: «محاضرات في مقياس:فلسفة معاصرة»، وزارة التعليم العالي و البحث العلمي المركز الجامعي نور البشير البيض، معهد العلوم الانسانية و الاجتماعية، الجزائر، ٢٠١٥-٢٠١٦.
- ١٧- محمدي بايزيدي، مجيد و آخرون: «الحب الوجودي في روايتي "جيل القدر" و "نائر محترف" لمطاع صفدي»، مجلة الجمعية الايرانية للغة العربية و آدابها، فصلية علمية محكمة، العدد ٤١، صص ٣٨-١٩، ٢٠١٧.
- ١٨- محمود، مصطفى: «الخروج من التابوت»، لانا، لاتا.
- ١٩- المطهري، مرتضي: «الإنسان و القدر»، تر: محمد علي التسخيري، طهران:مركز إعلام الذكري الخامسة لانتصار الثورة الإسلامي في ايران. ١٤٠٤ق.
- ٢٠- نظمي سالم، محمد عزيز: «الإسلام في مواجهة المذاهب الغريبة»، الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٦.
- ٢١- نيتشه، فردريت: «هكذا تكلم زرادشت»، تر: أ.تيل، لندن، ١٩٣٣.
- ٢٢- Wikipedia.org - ويكيبيديا .